حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة

الحلقة الخامسة(١)

"كتب التاريخ - تتمة"

بقلم الدكتور أحمد محمد الضبيب

عميد شؤون المكتبات بجامعة الرياض

أما الكتاب الثاني من كتب الفاسي فهو كتابه الموسوعي الضخم «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» في ثمانية أجزاء . وقد صدر الجزء الأول منه سنة ١٣٧٩ هـ . وتوالى عليه ثلاثة محققين فبدأه محمد حامد الفقي ولكن الأجل وافاه وهو يعمل في هذا الجزء . فأكمله ابنه محمد الطيب . وليس في هذا الجزء في الحقيقة جهد علمي كبير . ثم عهد إلى فؤاد السيد بتحقيق الجزء الثاني وما بعده فأخرج الجزء الثاني سنة ١٣٨١ هـ/١٩٦٢م . وقدم له بمقدمة وافية تحدث فيها عن تطلعه منذ خمسة عشر عاما إلى تحقيق هذا الكتاب وحديثه مع الشيخ سليمان الصنيع مدير مكتبة الحرم المكي حوله . ثم مواتاة الفرصة للشيخ محمد حامد الفقي بالحصول على صورة المجلد الأول من الكتاب من نسخة العلامة ابن فهد . وهو محفوظ بمكتبة الشيخ محمد نصيف بجدة . ثم ترشيح الشيخ سليمان الصنيع له بإكماله بعد وفاة الفقي ثم ذكر منهجه في التحقيق معتمدا على أصول خطية ثلاثة هي :

أ — نسخة العلامة ابن فهد (ف) .
ب — نسخة مكتبة قوله بدار الكتب المصرية رقم ٦ تاريخ (ق) .
جـ — نسخة الخزانة التيمورية .

أما في الأجزاء الأخرى فقد أضاف نسخا خطية أخرى منها :
نسخة مكتبة الأزهر رقم ٧٠٩ تاريخ (ز) وتحوى الربع الثاني من الكتاب .
ونسخة كمبردج رقم ٦٨٢ (ك) .

وتختلف النسخ باختلاف الجزء المحقق . فتارة تنقص نسخ أو تزيد أخرى أو يقتصر على بعضها دون البعض الآخر وقد صدر كل جزء بذكر المخطوطات التي اعتمد عليها فيه .

اما منهجه في التحقيق فقد ذكره في المقدمة فأشار الى أنه لم يثبت أصلا من النسخ التي بين يديه بل جعلها في مرتبة واحدة من حيث القيمة والأصالة . فأثبت ما صح لديه في المتن من القراءات السليمة . وأشار الى الاختلافات والتعليقات . مع الاستعانة بمصادر المؤلف الوثيقة ومؤلفات من نقل عنهم . وقد تولى ضبط الأعلام والأماكن والأنساب بالشكل أو العبارة . وعلق على النص دون توسع . واستفاد من حواشي ابن فهد على نسخته . كما عارض نصوص المؤلف التي نقلها عنه المتأخرون من بعده وأشار الى الاختلاف بين الأصل والنص المنقول عنه . واستمر فؤاد السيد في تحقيق الكتاب حتى أنهى الجزء السابع فانتقل الى رحمة الله وبقي الجزء الثامن والأخير . فعهد به الى تلميذه محمود الطناحي فحقق الجزء الثامن وهو كتاب «اسمه أسماء النساء والكنى» على النسق الذي كان يعمل عليه فؤاد السيد .

ان كتاب «العقد الثمين» أهم كتب التراجم التي عرفت بمشاهير قطان مكة المكرمة من

العلماء والأدباء والعظماء وغيرهم وهو موسوعة علمية كبرى تلقي الضوء على تاريخ الحياة الثقافية لهذا البلد الأمين . وهو من أحسن الكتب التي حققت وأنفقت عليها بلادنا وظهرت بالمظهر العلمي الحديث .

ومع ذلك فان هذا الكتاب الجليل على الرغم مما بذل فيه من جهد علمي متقن فان كنوزه لا تزال مغلقة أمام الباحث اذ أنه لم يزود بفهارس دقيقة تكشف مادته الغزيرة . فما أكثر الأعلام الذين ذكروا فيه من غير المترجمين ، وما أكثر الأماكن والمواضع والكتب والمؤلفات . ولو ألحق بفهارس تشملها جميعاً لجعل مهمة الباحث سهلة ممتعة بدلا من أن يضطر الى قراءته بأجزائه الثمانية حتى يحصل على ما يريده من معلومات .

أما تواريخ المدينة المنورة فقد مر بنا ما طبع منها في المطبعة الميرية في مكة . وفي العهد السعودي نشرت كثير من هذه التواريخ وأعيد نشر بعضها ، وأكثر طبعاتها طبعات تجارية لا نكاد نرى فيها التحقيق العلمي الحديث . ومن أبرز هذه الكتب التاريخية كتب السمهودي مؤرخ المدينة فقد تكرر طبعها . وقد طبع «وفاء الوفاء» طبعتين كان آخرها طبعة محمد سلطان النمنكاني صاحب المكتبة العلمية في المدينة المنورة . وقد عهد بها الى محمد محي الدين عبد الحميد لتحقيقها وصدرت عن مطبعة السعادة سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٥٥ م) ، والحق الجزء الرابع منها بنبذة عن التوسعة السعودية للمسجد النبوي . استقاها الناشر محمد سلطان النمنكاني من مدير مكتب مشروع التوسعة محمد صالح القزاز . وتحقيقات الشيخ عبد الحميد رحمه الله في غير بعض كتب النحو فيها نظر كبير ومن ذلك كتاب التاريخ هذا ... ومن الغني عن الذكر أن لا تكون هذه الطبعة قد صدرت عن أصل صحيح فأكثر تحقيقات محمد محي الدين عبد الحميد مأخوذة عن طبعات قديمة .. وقد بين خطته في مقدمة هذا الكتاب فقال : «قمت بضبط غرائبه ، وتفصيل عباراته بوضع علامات الترقيم المحدثة ووضع عناوين موجزة على هامش النسخة» ، وهذا منهج في التحقيق قاصر يعرفه كل من عانى تحقيق كتب التراث . وبذلك لم يخرج الكتاب في الواقع عن مجال النشر التجاري .

وفي تحدث حمد الجاسر عن طبعتي «وفاء الوفاء» واحداهما هذه الطبعة فقال : «وقد طبع الكتاب في أربعة أجزاء طبعتين كثيرتي الأخطاء غير محققتين مع وجود نسخ خطية منه جيدة» . وقال في موضع آخر : (٢)

«ولقد كان السمهودى رحمه الله خدم طبة الطيبة بتاريخها وخدم كتاب الفيروز آبادى بما أضافه اليه . الا أن مما يحزن حقا أن مطبوعتي «الوفاء» كثيرتا التحريف والتصحيف بدرجة سيئة جدا مما يحمل على القول بأنه لا يصح الاعتماد عليهما . وقد رجعت الى نسخة من مخطوطات القرن العاشر من الكتاب فاستعنت بها» (٣)

والى جانب ذلك ذكر حمد الجاسر أن مطبوعة «وفاء الوفاء» قد وقع فيها اضطراب وخلل «وخاصة فيما نقله السمهودى من كلام الهجرى عن الأحماء» (٤)

وقد نشر أسعد طرابزوني جملة من تواريخ المدينة منها « عمدة الأخبار في مدينة المختار » لأحمد بن عبد الحميد العباسي « من رجال القرن العاشر الهجري » عن نسخة في مكتبة آل هاشم بالمدينة بخط ناسخه السيد جعفر هاشم ، وصحح الكتاب محمد الطيب الأنصاري . ويقول حمد الجاسر عن هذا الكتاب انه « لا يعدو أن يكون تلخيصا لكتاب » خلاصة الوفاء « وقد طبع طبعة كثيرة التحريف والأخطاء »⁽٥⁾ .

كما نشر أسعد طرابزوني أجزاء من « التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة » لشمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢) وهو من أهم كتب تاريخ المدينة ويبحث في تراجم علمائها وأعيانها . وقد صدر الجزء الأول منه سنة ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧ م عن مطبعة السنة المحمدية في القاهرة . وقام بتصحيحه محمد حامد الفقي ونشر على نفقة حسن الشربتلي . ويقول حمد الجاسر : « ان مما يؤسف الباحث أن كتاب التحفة لم يعرف منه حتى الآن نسخة تامة وانما وصل الينا من نسخة ناقصة مع أن الكتاب كان معروفا الى عهد ليس بالبعيد فقد نقل عنه الموسوي في « نزهة الجليس » في ترجمة محمد بن الحنفية ونقل عنه غيره وهذه النسخة الناقصة كانت في المدينة كما يفهم من كتابات في طرتها حوت أسماء علماء مدنيين »⁽٦⁾ .

وقد صدرت منه ثلاثة أجزاء كاملة اطلعنا عليها ويقول حمد الجاسر انه صدر من الجزء الرابع الى « عياش بن سليمان » وهي الترجمة الـ ٣٣٥٦ في ١٩٢ صفحة . ويعقب على ذلك بقوله : ويظهر أن الباقي من الكتاب يقارب الثلثين اذ أن أكثر التراجم هم المحمدون وليس في المخطوطة منهم سوى اليسير »⁽٧⁾ .

وقد قدم الجزء الأول بمقدمة لمحمد حامد الفقي وصف فيها النسخة المخطوطة وقال : انها نسخة عادية مكتوبة بخط عادي ... وذكر أن تاريخ الفراغ من نسخها سنة ٩٥٢ هـ . والمخطوطة من مخطوطات استانبول وعنها فيلم مصور بمعهد المخطوطات ، ثم أعقب بقوله : « وبعد فهذا جهد المقل مع أني تعبت فيه ما لم أتعب في غيره مما حققت وصححت من قبل »⁽٨⁾ . ثم أتبعت هذه المقدمة بمقدمة أخرى للدكتور طه حسين تحدث فيها عن الكتاب ثم شكر للمحقق والناشر والمنفق على النشر . وعلى الرغم مما ذكره حامد الفقي رحمه الله من اجتهاده في تحقيقه فقد أشار حمد الجاسر الى أن « المطبوع من التحفة كثير الخطأ لأن المخطوطة سيئة الكتابة »⁽٩⁾ .

ومن مطبوعات أسعد طرابزوني في تاريخ المدينة « كتاب التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة » للامام جمال الدين محمد بن احمد المطرى (ت ٦٩٠) ، وقد صدر سنة ١٣٧٢ هـ كتب على طرة الكتاب « قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ محمد بن عبد المحسن الخيال » قاضي المستعجلة بالمدينة المنورة ، وفي مقدمة الكتاب نشر الناشر تقريظا للكتاب بقلم الشيخ الخيال ذكر فيه أنه اطلع على الكتاب ووجده من أحسن ما جمع في أخبار المدينة ، خصوصا وقد أشار الى تغيير شيء من البدع المحدثة ، و « بمطالعته يظهر أن البناء على القبور محدث بعد القرون المفضلة . وقد نبهنا على شيء من المواضع التي يلزم التبيين عليها

ولم نستوعب ذلك لكثرة الشواغل » . فليس في الكتاب تحقيق وانما نظر عابر واصلاح لبعض المواطن وتنبيه على عقيدة السلف في بعض الأمور . ومن التجاوز أن يسمى ذلك تحقيقا . وغير ذلك لا نجد مقدمة في توثيق النسخة ولا حديثا عن الكتاب بل لا نجد موازنة بين ما قاله هذا المؤلف ولا حديثا عن مصادره ولا شيئاً مما يمكن أن يعزى الى التحقيق . وبالجملة فهي طبعة تحتاج الى اعادة طبع وتحقيق جيد . ويمكن أن يقال مثل ذلك بل أكثر من ذلك في نشر السيد أسعد الطرابزوني لكتاب « الأوائل » لأبى هلال العسكرى وهى نشرة مشوهة كثيرة الهنات مغرقة في التوجيه المغلوط والقراءة الخاطئة . ويطول بنا الحديث كثيرا عن هذه الطبعة لو استقصينا هناتها .

ومن كتب تاريخ المدينة المحققة كتاب « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » للعلامة زين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر المراغي . وقد نشره محمد سلطان النمنكاني صاحب المكتبة العلمية وصححه وحققه محمد عبد الجواد الأصمعي ، وقد استوفت هذه الطبعة جميع شكليات التحقيق العلمي من حيث الحديث عن المخطوطات وابراز صورها ، ووضع الفهارس للاعلام والأمم والقبائل والبطون وأسماء البلاد والجبال والأودية والآبار والقوافي والموضوعات حتى استغرقت الفهارس خمسين صفحة من مجموع ٢٧٣ صفحة . وقد ألحق بالكتاب ملحق عن التوسعة السعودية للمسجد النبوي الشريف بقلم الناشر .

وقد أشار حمد الجاسر في رسائل في تاريخ المدينة الى أن أبا بكر ابن الحسين بن عمر المراغي القاهري المدني (٧٢٧ — ٨١٦) لخص كتابي النجار والمطري وذيل عليهما بكتاب « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » .
وقال : ان الكتاب طبع طبعة كثيرة الأخطاء(١٠) .

ونشر حمد الجاسر مجموعة من ست رسائل في تاريخ المدينة هي :

١ — وصف المدينة المنورة لعلي بن موسى عن مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ٣١٦٩٠/١٦٤٤ تاريخ .
٢ — التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة لمؤلفها الجلالي محمد بن خضر الرومي الحنفي (ت ٩٤٨ هـ) وهي مخطوطة دير الاسكوريال .
٣ — الوفا بما يجب لحضرة المصطفى . للامام نور الدين علي السمهودي (ت ٩١١ هـ) عن مخطوطتين احداهما في الاسكوريال ، ونسخة من مكتبة الحرم المكي عنوانها « ذروة الوفا بأخبار دار المصطفى ، رقم ١٢٢١ من كتب الشيخ عبد الستار الدهلوي . وقد اطلع عليها الناشر بعد الطبع ، وأجرى مقابلة بينها وبين ما لديه ووضع مستدركا للأخطاء .
٤ — كائنة أمير المدينة . لمجهول ، ولا يستبعد الناشر أن يكون مدون الخبر هو السمهودي . وهي رسالة ملحقة بنسخة الاسكوريال من مخطوطة « الوفا » بما يجب لحضرة المصطفى .
٥) أول بناء سور للمدينة . نبذة لمجهول يرجح الناشر أن يكون مؤلفها هو مؤلف « التحفة اللطيفة » . وهي ضمن المجموع المحتوى على « الوفا » في الاسكوريال .
٦ — وضع الأهلة على القبة والمنائر (في الحرم المدني) . نبذة قصيرة متصلة بالرسالة السابقة .

ولا يستبعد الناشر أن تكون ملخصة من التحفة اللطيفة .

قدم المحقق لهذه الرسائل بمقدمة ضافية تحدث فيها عن كل رسالة على حدة ذاكرا مؤلفها ومخطوطاتها وقد خص السيد السمهودي بترجمة واسعة وتحدث عن كتاب « الوفاء » باسهاب . ثم أورد النصوص مشيرا الى بعض المواضع بتعليقات مختصرة ثم أتبعها جميعا بفهارس لمحتويات المقدمة ولكل رسالة على حدة ، وفهرس للأعلام وآخر للمواضع ، وثالث للجماعات ، ورابع للكتب .

أما تاريخ شرقي الجزيرة العربية ووسطها فأهم مصادره مصدران : تاريخ حسين بن غنام أو «كتاب روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام» وتاريخ الشيخ عثمان بن بشر المسمى «عنوان المجد في تاريخ نجد» . وعلى الرغم من أن هذين المصدرين هما أوسع المصادر في تاريخ نجد وخاصة في وصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتاريخ السعودية ، وعلى كثرة طبعاتهما فاننا لا نجد للأسف بين أيدينا طبعة محققة موثقة من هذين الكتابين ، وكل ما نراه هو طبعات تجارية أو شبيهات بالتجارية . ومن تلك الطبعات طبعة تاريخ ابن غنام التي صدرت بعنوان «تاريخ نجد» للشيخ الامام حسين بن غنام ، حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الأسد ، وقد قام (المحرر أو المحقق) بكتابة تاريخ ابن غنام بأسلوب غير أسلوبه . وتصرف فيه ليجارى ذوق العصر وحتى لا يكون عسيرا على القارئين وطلاب العلم لأن أسلوبه يجافي أذواقهم وما ألفوه من أساليب الكتابة»⁽¹⁾ . وتعجب أن يقول هذا الكلام استاذ من أساتذة الجامعة الذين عرفوا بالتحقيق والتمحيص وأن يجيز لنفسه التغيير والتبديل في كتاب ليس من تأليفه وأن يحيل كتاب ابن غنام عن طريقته التقليدية البسيطة التي تعبر عن محصوله العلمي والثقافي وبيئته النجدية فيجرى فيه قلمه بتجريده من السجع والعبارات المتكررة والحشو ، ويعيد صياغة بعض جمله ، ويغير تقسيم الكتاب» وبذلك يحيل الكتاب عن وضعه الأصلي الى كتاب آخر لابن غنام فيه الأرواح وليس الأشباح .

ومثل هذا العمل ليس تحقيقا وإنما تغيير وتبديل وهو ليس تحريرا ولكنه تحريف واذا كان المراد من تحريره وتنقيحه وتغييره وتبديله هو مجاراة روح العصر فلماذا لا يؤلف كتابا جديدا يحوى المعلومات وينسب لمؤلفه لا للمؤلف القديم . ثم ان المكتبات ملآى بالكتب التي تتحدث عن تاريخ المملكة بأسلوب حديث فلماذا لا يكتفي بها بدلا من تغيير كتاب ابن غنام .

لقد نظرت في هذه الطبعة فلم أجد مبررا لوجودها ، اذ لو طبقنا هذه النظرة على كل كتب التراث لاحتجنا الى تغيير كتب كثيرة وتحريفها وتبديلها من أجل أن تساير روح العصر التي نعيشها .

ان تاريخ ابن غنام لا يزال بحاجة الى خدمة جديدة تعتمد الأصول وتقارن بين الحوادث وتجعله متاحا للقارىء بالفهرسة العلمية المتقنة ، والشروح الوافية والتعليقات المفيدة .

أما كتاب ابن بشر فقد سبق أن ذكرنا أنه طبع مختصرا في العراق سنة ١٣٢٨ هـ ، وكانت أول طبعة تامة له هي طبعة مكة سنة ١٣٢٩ هـ في المطبعة السلفية وهي طبعة من مجلدين

اشترك في نفقتها محمد حسين نصيف وصاحب المطبعة السلفية ، وليس في هذه الطبعة أي ذكر للأصول التي اعتمد عليها الناشرون ولا مقابلة عليها ، وفي مقدمتها صفحة بمعاني بعض الكلمات العامية النجدية ، وأخرى في ضبط أسماء بعض المدن الواردة في الكتاب وقد ضبطت باللغة الفصحى وليس بالعربية المعاصرة المحلية فبدت غريبة مفصحة . وطبع الكتاب بعد ذلك عدة طبعات آخرها فيما أعلم طبعة وزارة المعارف وهي طبعة عادية تمتاز بحذف سوابق الكتاب (أي حوادث السنين التي سبقت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) ووضعها مستقلة في آخر الكتاب ... وليس في الكتاب جهد تحقيقي علمي فهو أيضا لا زال بحاجة الى العناية به .

ومن تواريخ نجد المختصرة تاريخ حمد بن لعبون الوائلي ، وقد طبع في مطبعة أم القرى سنة ١٣٥٧ هـ ، وقد أشار حمد الجاسر الى أن هذه الطبعة طبعة ناقصة .

ونشر حمد الجاسر بعض النصوص التاريخية الحديثة نسبيا منها : «نبذة تاريخية عن نجد» ، أملاها الأمير ضارى بن فهيد الرشيد (ت سنة ١٣٣١ هـ) وكتبها وديع البستاني ، والحق بها مقتطفات من رسالة «القول السديد في أخبار امارة آل رشيد» ، لسليمان بن صالح الدخيل (ت ١٣٦٤ هـ) وذلك سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .

كما نشر كتاب تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان ق ٧٠٠ هـ الى ١٣٤٠ هـ ، تأليف ابراهيم بن صالح بن عيسى (ت ١٣٤٣ هـ) .

ومن الكتب المختصرة المحققة تحقيقا علميا في تاريخ نجد «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» وقد حققه عبد العزيز الخويطر وطبعه سنة ١٣٩٠ هـ في الرياض وهو تاريخ مختصر جدا .

لقد استعرضنا أهم كتب التاريخ التي طبعت في المملكة(١٢) ورأينا أن كثيرا منها قد صدرت عن طبعات عادية وبعضها رديئة محرفة غير محققة ولا مراجعة على نسخ خطية الى جانب أن الوصول الى المعلومات التي فيها عسير صعب بسبب افتقارها الى الفهارس العلمية الصحيحة ، ولا نكاد نستثني من هذه المطبوعات سوى تحقيق رشدي ملحس لكتاب الأزرقي وقليل من الكتب . أما الكتب الأخرى في أخبار مكة والمدينة وعلمائها والمقيمين فيهما فان أكثرها طبع طبعات تحتاج الى جهود اضافية لجعلها تصل الى مرحلة التحقيق العلمي .

ان العناية بكتب التاريخ هذه وتحقيق أصولها وخدمتها خدمة علمية من مهمات الجامعات السعودية التي تملك المقدرة العلمية والمال الكافي من أجل اخراج تراث المملكة وتاريخها على أسس علمية . واننا لنرجو أن يتاح لطلاب الدراسات العليا في الجامعات أن ينهضوا بتحقيق هذه النصوص المهمة من تواريخ الجزيرة العربية .

د . أحمد محمد الضبيب
استاذ بكلية الآداب — جامعة الرياض

(١) انظر للكاتب : «حركة احياء التراث قبل توحيد الجزيرة» . الدارة . ع ١ م ١ . ربيع الأول ١٣٩٥ هـ/ مارس ١٩٧٥ م ص ص ٤٤ — ٦٢ . و «حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب العقيدة والتشريع) . الدارة . ع ٤ م ٣ . صفر ١٣٩٨ هـ/ يناير ١٩٧٨ م ص ص ٨ — ٢١ . و «حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب التفسير) . الدارة . ع ٣ م ٤ . شوال ١٣٩٨ هـ/ سبتمبر ١٩٧٨ م صص ٨ — ١٤ . و «حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة» . الدارة . العدد السابق لهذا العدد .

(٢) الفيروزآبادي . المغانم المطابة في معالم طابة (قسم المواضع) . تحقيق حمد الجاسر . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر سنة ١٣٨٩ هـ ص . ك .
(٣) نفس المصدر ص . ق .
(٤) حمد الجاسر . رسائل من تاريخ المدينة . الرياض . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر . ١٣٩٢ هـ ص ٣٨ .
(٥) الفيروزآبادى . المغانم المطابة في معالم طابة . تحقيق حمد الجاسر . الرياض . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر . ١٣٨٩ هـ . ص . ك .

(٦) حمد الجاسر . رسائل في تاريخ المدينة . ص ٣٧ .
(٧) نفس الموضع .
(٨) مقدمة الكتاب .
(٩) رسائل في تاريخ المدينة . ص ٣٨ .

(١٠) حمد الجاسر . رسائل في تاريخ المدينة . ص ٤١ .
(١١) ص ٦ .

(١٢) لقد أوردنا جميع الكتاب في قسم «البيليوجرافيا» من هذه الدراسة .